



الدورادو

الدورادو. الاسم معروف لمن يقصد شارع الحمراء، ولكن من يقدر حجم الاساطير التي شحنتها هذه الكلمة في انتقالها من اللغة الاسبانية الى رأس بيروت؟ الاسم الذي يطلق على هذا القطاع من الحمراء جاء من دار انيقة للسينما افتتحت عام ١٩٦٧ واغلقها الحرب قبل ان تتحول في الفترة الاخيرة مركزاً تجارياً. اسم صالة السينما كان استعاد عنوان فيلم من الحقبة نفسها، بات اليوم اسطورياً بالنسبة الى هواة الوبسترن، من اخراج هوارد هوكس وبطولة جون واين وروبرت ميتشوم.

من جهته، كان عنوان الفيلم أخذ من قصيدة لادغار آلن بو تتحدث عن فارس شجاع هزم في البحث عن ارض الدورادو، فلما خارت قواه لاح امامه شيخ اشار اليه بالسير بعزم وراء جبال القمر وفي قاع وادي الظل اذ كان يسعى وراء الدورادو. اما خيال القصيدة، فيحيلنا على اساطير الدورادو التي سكنت المخيلة الاوروبية بعد اكتشاف اميركا ومعادنها وكنوزها، فكانت للعصر الحديث في الغرب بمثابة البحث عن الـ"غزال" المقدس، او ايوان دم المسيح في القرون الوسطى. واساطير الدورادو التي سكنت الادب الاوروبي، من اين اتت؟ لمعرفة الجواب، يجب الابتعاد قليلاً عن الحمراء والتوجه الى الاشرفية حيث حلت مناخات الدورادو في متحف سرسق. القطع الثلاثون التي يمكن التمتع بها في متحف سرسق، في اطار معرض نظمه سفارة كولومبيا، ليست سوى غيض من فيض "متحف الذهب" في بوغوتا.

لكنها تكفي ليستعيد الزائر الانبهار الذي اثارته في نفوس المستكشفين والفاتحين الاسبان الارض المجهولة المنفتحة امامهم، حيث الذهب مادة تكاد تكون عادية في طقوس عبادة الشعوب الاصلية وتقاليدھا الاجتماعية. واحدة من هذه العادات هي الاصل الحرفي لكلمة الدورادو، وهي تعني بالاسبانية "المذهب"، اذ كانت تقضي ان يطلي الشاب جسمه بغبار الذهب في احدى المناسبات الموسمية. وكيف لا تشتعل الاطماع بعد ذلك، وتلتهب الخيالات؟ لم تكن ارض الدورادو كلها سراباً. فاذا كان السعي الى الذهب قد اودى بحياة الآلاف من المغامرين، فان اسبانيا عاشت قرنين من الزمن على تخليص الابريز الاميركي، وان تكن هذه الثروة التي بدت كأنها لا تنقطع قد اخرتها عن موافاة القفزة الرأسمالية. اما اهل الارض، فهم صاروا خيالاً، ولو من ذهب.

|| ماذا لو شاهد هيغل القناع الذهبي المعروض في متحف سرسق ضمن المجموعة الكولومبية؟ لا ادري لماذا يحضرنى هيغل كلما شاهدت اعمالاً فنية قديمة لا تنتمي الى منظومة الفن الاوروبي، سواء أكانت آتية من افاق مغايرة تماماً مثل التماثيل والمجوهرات الكولومبية ما قبل العصر الاسباني والتماثيل الافريقية، أم انها لم تكن تُدرج في الخط البياني لصيرورة هذا الفن مثل وجوه الفيوم، هذه الرسوم العائدة الى مصر الرومانية والتي اعيد اليها الاعتبار، بعد اكتشافها المتأخر، في معرض ضخم جال على اهم المتاحف العالمية في العامين الاخيرين. ربما كان هيغل معذوراً لان جهله بما ليس اوروبياً اسقط حضارات باكملها من البناء العقلاني، بل المفرط في عقلانيته الذي صاغه في كتاب "الجمالية". ولكن الاصرار على بناء يدعي الشمولية، فيما اساساته مغروسة فقط في التربة الاوروبية، كيف يمكن تجنب وضعه في خانة المركزية الاوروبية، هذه النزعة العنصرية العادية؟



III تخرج من كولومبيا الذهب وتقع مصادفة، وانت تقلب قنوات التلفزيون، على فيلم تدور قصته في كولومبيا الحديثة (Romancing the Stone) على "ام. بي. سي" وقد دأبت هذه القناة على برمجة الافلام الجيدة او على الاقل المقبولة). الفيلم قطعاً مسل، مع ممثلين محبوبين، هما كاتلين ترنر ومايكل دوغلاس (قبل ان يصيبه الادعاء)، النبض سريع والقصة مضحكة، ولكن اين كولومبيا؟ ديكورات طبيعية خلابة، والكثير من الكليشيات، من دون اي اعتبار لوجود البلد الفعلي الذي تدور فيه احداث الفيلم. حتى كارتاهينا، لؤلؤة الكاريبي التي تشكل اطار عدد من المشاهد، لا يظهر شيء من روعتها المعمارية. الظاهرة ليست فريدة، فكم من الافلام الاميركية، وبعضها تحف، تتجاهل البلدان التي تصور فيها؟ المسألة لم تعد حتى تستحق الاستهجان. فقط الرصد المركزي الاميركية السينمائية، او الوجه اللطيف للتفوق "الثقافي". هل نضيف "العنصري"؟

IV اخذتنا المواجهة السياسة مع اسرائيل والولايات المتحدة في مؤتمر مكافحة التمييز العنصري في دوربان، ففاننا المواجهة الاخرى حول مسألة العبودية، والاعتذار المطلوب من الغرب بسببها، والتعويضات التي لن تدفع... وراء هذه الفضيحة التاريخية التي استمرت قرناً شيئاً يمكن تلمسه في متحف سرسق: الدورادو. فباسم الثروة المشتهاة، معدناً وزراعة، تم افراغ مناطق كاملة في افريقيا من قواها الحية بعدما قضي على معظم الشعوب الاصلية في الاميركيتين.

V المطعم مرموق. حول احدى الطاولات امرأتان مع زوجيهما وطفلة يفترض انها تعود الى واحد من الثنائيين، وفتاة يستدل من سحنتها وتقاسيم وجهها انها من جنوب آسيا، ومن تصرف الباقيين معها انها تعمل خادمة منزلية عند احدى العائلتين، الطفلة ذاتها على الارجح. ستة اشخاص حول الطاولة، خمسة منهم يأكلون. اما الشخص السادس (احزروا من يكون!)، فيتفرج، وفي يديه المنديل الانيق الذي كان في الصحن، والصحن سحبه. تمضي نصف ساعة هكذا. فجأة، تُناول الفتاة (ومن غيرها؟) صحناً فيه قطعة من بيتزا، فتبدأ في تقطيعها. هاه! يعطونها الفضلات! ولا حتى ذلك. عندما انتهت من عملها، تناولت واحدة من الامراتين الصحن ووضعت امام الطفلة. كان ذلك في السادس من ايلول ٢٠٠١، قبل يومين من انتهاء مؤتمر دوربان لمكافحة التمييز العنصري والعداء للاجانب.

سمير قصير



| | | |
|---------------------|---------------------|--|
| Id-Reference | 01-Pr-000717 | |
| Media | (Support) | HC |
| Title | | الدورادو |
| Subtitle | | |
| Section | | |
| Language | | عربي |
| Source | | النهار |
| Page | | |
| Date | | ٢٠٠١/٩/١٠ |
| Author | | سمير قصير |
| Co-Author | | |
| Keywords | | |
| | Persons | هوارد. هوكس - جون. واين - روبرت. ميتشوم - كاتلين. ترنر - مايكل. دوغلاس |
| | Locations | الدورادو - حمرا - لبنان - رأس. بيروت - اسبانيا - كولومبيا - اسرائيل - ولايات. متحدة |
| | Dates | ١٩٦٧ |
| | Themes | الدورادو - لبنان - حمرا - شارع. حمرا - مكافحة. تمييز. عنصري - سينما - متحف. سرسق - اسبانيا - هيغل - كتاب. جمالية - كولومبيا - Romancing.the.Stone. فيلم - أم. بي. سي - أفلام. أميركية - ولايات. متحدة - تمييز. عنصري |
| Subject | | |